ويزيدون زيادةً لاعتبارهم كما يزعمون . على انَّ نوائب الدهر واقفة لهم بالمرصاد وكثيرًا ما يقعون في الهوّة التي حفروها لغيرهم . وبسقوطهم يسقط الوف من الناس الذين سلَّموهم ثمرة اتعابهم وارباحهم مدَّة سنين طويلة فيندمون على فعلهم ولات ساعة ندم . ولنا في مسألة السكَّر مثال حديث يثبت قولنا (راجع البشير ٢١ آب ١٩٠٥)

وكلُّ هذه الآفات اللاحقة اليوم بالمضاربات التجاريَّة جعلت احوال المجتمع الانساني في خطر دائم حتى اصبح الناس يتمنَّون رجوع الاحوال القديمة وهيهات ان تعود بعد دخول هذه المقامرات في حياة الشعوب وانتشار الغشّ والخداع في المعاملات اليوميَّة امَّا نحن فنصادق على كلام فرنكلين الشهير حيث قال : « اذا اتاك احد يبشرك بالغنى القريب دون شغل واقتصاد فلا تُصغ اليهِ بسمعك فانَّهُ مكَّار خدَّاع »

ومجمل القول انَّ المضاربات لا غنى عنها في التجارة على شرط أن لا تتجاوز طورها فتبقى أمةً للتجارة مساعدةً لها دون ان تتسلَّط عليها كالسيدة وتقوم مقامها ولولا بقاؤها عند حدودها تنحي من اكبر آفات الهيئة الاجتماعيَّة وتعرّضها لضروب المخاطر

وان سأل القارئ هل من دواء لاصلاح المضاربات الخطرة اجبنا ان ذلك لصعبٌ جدًّا وانَّا تستطيع الحكومات ان تسنَّ لها سننًا عادلة لتلافي اضرارها وتصدّ التلاعب والخداع بين المضاربين . وقد اطلعنا على قوانين الدولة العليَّة في هذا الشأن فرأيناها مملوَّة حكمةً فلا يبقى لاهل بلادنا الَّا ان يتأمَّلوها ويجروا على حسب منطوقها فتزدهر التجارة وتتحسن الاحوال في ظلّ المتبوع الاعظم حقَّق الله آمال جلالته لخير رعاياه

رحلة

اول سائح شرقي الى اميركة

(١٦٦٨ — ١٦٨٣)

عُني بنشرها وتعليق حواشيها الاب انطون رباط اليسوعي (تتمَّة)

٤٨ الذهاب الى مكسيكو (Mexico) او (Mejico) — وصف القرمز

ثم سافرنا الى قرية سانا تيتيبك التي تبعد ستة فراسخ ثمَّ الى قرية استينبك تسعة فراسخ ومنها الى قرية اقانيتبك ثم الى بلد خلاپا وفي هذا البلد كان حاكم يسمَّى دون خوان

بيتيا وهذا كان عمهُ كاتب ديوان الهند وكان قوي صاحبي . ولمَّا سمع بقدومي خرج فرسخين خارج البلد للاقاتي واستقبلني بعز واكرام واتزلني في دارهِ وبالقرب من هذه البلدة جبل فيهِ جلاليــة يشتحون بعض الاوقات وينهبون عابري الطريق فارسل معي الحاكم اثنين من الجنود ليخفراني في ممر ذلك الجبل . فعبرناه بمونــة الله بغير ضرر ووصلنا الى قرية تسمى تكيسيا على اربعة فراسخ ومن هناك الى قرية صان خوان ديلاكوصتا اثني عشر فرسخاً ثمَّ الى قرية ينخابا خمسة فراسخ ثم الى قرية سان ميكاييل عشرة فراسخ ثمَّ الى قرية سان لوكس ثلاثة فراسخ ثمَّ الى بلد واخاكا (Guaxaca) ستة فراسخ وفي هــذا البلد كان رجل وجيه من اسبانية لهُ اخ في ليما يخدم عند الوزير صاحبي المعزول . فهذا كان اعطاني مكتوباً الى اخيه الذي في واخاكا . فلمَّا قربت من هذه البلدة ارسلت لهُ المكتوب فقام هذا الشريف وطلع خارج البلد فاستقبلني بفرح واخذني الى البلد واتزلني في بيت كان هيَّأهُ لي . وكان اسقف هذه البلدة قد توفي وبقي كرسي الاسقفية فارغاً وكان هناك ورديان (Gardien) اعني رئيس كهنة . فهذا المبارك لمَّا كان آتياً من الهند الى اسبانية وقع اسيراً في الجزائر فسهل لهُ الله فأعتق وصار رئيساً على قسوس هذه البلدة وكانت لي معهُ صحبة واكرمني غاية الاكرام وكان اسمهُ دون ديونسيو . واما هذه البلدة فهي غنيَّة بالعمائر والكنائس لاسيما دير مار عبد الاحد وباقي ديورة الرهبان ومارستانات المرضى والكنيسة الكبيرة فاخرة للغاية وغير كنائس أُخرى وانا كان معي خرجية مقدار ثمانمائة غرش فاودعتها عند صاحبي المذكور المسمَّى دون فرنسيسكو ده كاسترو حتى يتسوَّق لي بها قرمزاً لان في هذه البلدة ونواحيهــا يطلع القرمز يلصق في بعض اشجار ذات ورق سميك مثلما ذكرنا سابقاً فيلتصق مثل الدود في الورق ويصير مثل حب الجدري ثم في حين بلوغهِ يستخرجونهُ ويضعونهُ في فرن حامٍ فيبس وينطفئ . وبعد ذلك يبيعونهُ

ومن بعد خمسة عشر يوماً خرجت من هذا البلد قاصداً ميخيكو (Mexico) المذكورة حيث يجلس وزير الملك فبعد اربعة فراسخ وصلنا الى ضيعة تسمى ايتا ومن ايتا الى طاطوستة فراسخ . ومنها الى اوانيتبك خمسة فراسخ ثمَّ الى قرية صان انطون فرسخان ثم الى قرية كوس خمسة فراسخ . ثم الى سان سابصطيان خمسة فراسخ . ثمَّ الى قرية تيواكان اربعة فراسخ ثم الى ضيعة اناخوتيبيك خمسة فراسخ . ثمَّ الى قرية

تبياكا سبعة فراسخ ثم الى مدينة بوبولا ده لوس انخلوس يعني مدينة شعب الملائكة (La Puebla de los Angelos) ستة فراسخ فجزتُ الى هذه البلدة ونزلت عند رجل من اصحابي. وهي بلدة كبيرة مفرحة بالقصور والعمائر وغنيَّة بالكنائس مثل الكنيسة الكبيرة التي هي غنية جدًّا بالعمارة والفضة والذهب والذخائر المقدسة ويسكن الان في هذا البلد اسقف يسمَّى دون عمانويل ده ساتا كروس وهو رجل عالم وخائف الله ولهُ معبور في كل سنة ثمانون الف غرش. وايضاً في هذا البلد ديورة من جميع طوائف الرهبان

٤٩ وصف مكسيكو

ثم بعد يومين خرجت متوجهاً الى بلد ميخيكو التي هي بعيدة من هذه البلدة نحو اربعة وعشرين فرسخاً فوصلتُ اليها ودخلت الى المدينة ونزلت عند احد اصحابي كان معي مكتوب لهُ من بلد واتيامالا فقبلني بالعز والاكرام. فمن بعد يوم وقعتُ مريضاً وبقيت عشرة ايام في الفراش. ولما وزير هذه البلدة فكنت احضرت لهُ مكتوباً من قريبهِ الوزير صاحبي الذي كان في البيروه. فبقي يرسل الي حكماءهُ ليشرفوا عليَّ. وبعد عشرة ايام تعافيت بعناية الله وقت زوت الوزير وزرت امرأته فاستقبلاني بحبة ووجه بشوش وعرض عليَّ الوزير ان اسكن عندهُ في السرايا فاستكثرت بخيرهِ وشكرت فضلهُ على ذلك وما اردت انزل عندهُ بل استكريت لي بيتاً بثلاثمائة وستين غرشاً في السنة واشتريت لي عربانه وبغال بستمائة وخمسين غرشاً ثم ابتديت اروح ازور الاشراف فزرت اوَّلاً مطران البلد ثم زرت باقي الاعيان فالمطران. اعطاني دستوراً ان اقدّس اينما اشتهى خاطري وفي كل ليلة وقت المغرب كنت اروح القش (التحدث) عند الوزير مقدار ساعتين وارجع الى بيتي. واما هذا المكان فهو ارض واطية وفي جانب هذه البلدة بحيرة ماء تابعة من الارض. وفي بعض السنين لمطرت مطراً زائداً فغرقت البلدة وكثير من البيوت امتلأت ماء. وسقطت وهذه الارض ما لها اساس ثابت. وايش تكلم عن الكنائس التي في هذه البلدة وعن شرف وحسن بنائها وزيادة غناها وهو شيء لا يوصف. لان في هذه البلدة ثلاثة ديورة لرهبان مار افرنسيس وديرين لرهبان مار عبد الاحد وديرين لرهبان اليسوعيَّة وثلاثة ديورة لرهبان مار اغسطينوس وديرين

لرهبان المرسي ومارستانات لمداواة المرضى وسبعة عشر ديرًا للراهبات وديرًا للرهبان الكرملتانيين . والكنيسة الكبيرة وغير كنائس أُخر عديدة

٥٥ كنيسة العذراء العجانية

وخارج البلد بنصف فرسخ يوجد كنيسة على اسم مريم العذراء تسمَّى وادالوبي (Guadeloupe) . وذكروا لنا انهُ بعد دخول السبنيولية الى هذه البلاد بايام قليلة بينما كان احد الهنود المسمَّى خوان ديكو داترًا خارج البلد اذ ظهرت له امرأة جليلة بهيَّة في غاية الجمال وقالت لهُ اذهب الى مطران البلد وقل لهُ ان يبني لي بيتًا في هذا المكان . فارتعد الهندي المذكور من ضياء نور وجهها وراح عاجلًا مثل ما رسمت تلك الست وقال للمطران كل ما امرت بهِ . فلمَّا تأمل المطران في هذا الهندي وفي حالتهِ الزريَّة وثيابهِ الحقيرة امر بطردهِ فرجع هذا المسكين خائبًا ومطرودًا الى المكان الذي تكلمت معهُ تلك السيدة الجليلة . فظهرت لهُ مرَّة ثانية في المكان المذكور وقالت لهُ كقولها الاوَّل ان يرجع الى المطران ويقول لهُ كما امرتهُ فاطاع . امرها وراح ثانية عند المطران وعرض عليهِ كل ما امرتهُ تلك الست فاحتقرهُ ايضًا المطران وامر بتهجيجهِ وطرده فرجع محزونًا ومطرودًا الى ذلك المكان . فظهرت لهُ الست ثالث مرَّة وقالت لهُ : لماذا لم تعمل الذي امرتك بهِ . فاجابها قائلًا : ياستي قد فعلت مرسومك ورحت مرتين عند المطران وعرضت عليهِ كل ما امرتني لكن هجنني وما صدقني . فقالت لهُ : امضِ اليهِ ثالث مرَّة وقل لهُ كل ما امرتك ودونك هذا الورد خذهُ معك الى المطران ليصدق قولك . ثم ناولتهُ الورد وكان غير اوانهِ . فاخذ ذلك الهندي الورد وجعلهُ في الرداء الذي كان ملتحفًا بهِ وقصد بيت المطران فلمَّا نظرهُ الخدَّام وعرفوهُ هجوهُ وطردوهُ . فقال لهم : لاجل الله اتركوني اتكلم مع المطران لان عندي هدية من عند الست الاسبنيولية اهديها لهُ . فاعلموا المطران بذلك فامر بدخوله فلمَّا وقف بين يديهِ قال لهُ : ياسيدي الست ارسلتني اليكَ ثلاث مرَّات وتقول لك ان تبني لها بيتًا في المكان الفلاني وها قد ارسلتُ لك هذا الورد حتى تصدق قولي وتتيقَّن انها هي ارسلتني اليك . فلمَّا رمى الهندي الورد من ردائهِ ونظر المطران لهذا العجب لانهُ ما كان زمان الورد وزاد عجبهُ اذ نظر صورة مريم العذراء قد ارتسمت في رداء الهندي وكان ذلك الرداء من شال سبيك . حينئذٍ جثا المطران على ركبتيهِ امام هذا الهندي وطلب منهُ الغفران وعاجلًا

تخاطفوا ذلك الورد من ذلك الهندي بحيث ارتسمت صورة العذراء في ردائهِ ثم شلحهُ المطران الرداء المذكور بزياح ودق النواقيس ووضعهُ في المذبح الكبير بفرح وعيد عظيم وخرجوا الى المكان المذكور وامر المطران بعمارة الكنيسة في المكان الذي ظهرت فيهِ للهندي المذكور وسماها كنيسة مريم العذراء ده وادالوبي . والهندي خوان ديكو المذكور كمل حياته في خدمة العذراء في تلك الكنيسة وتنيح مثل الطوبانيين . وهذه الكنيسة خارج عن البلد ميخيكو بنصف فرسخ كما ذكرنا وهي غنيَّة جدًا بالفضة والذهب والبدلات المثمنة حتى ان درج المذبح الكبير وهو تسع درجات صنعوهُ من فضة والعواميد التي على المذبح ايضاً من فضة فمن حدّ هذه الكنيسة الى داخل هذه البلدة قد عمروا مثل الجسر بعلو ذراعين من سبب ان تلك الارض في ايام الصيف لما تمطر تصير كلها بحيرة فما يمشون الّا على ذلك الرصيف لان في ذلك البلد يبدأ المطر من اول شهر ايار الى آخر شهر ايلول بخلاف عوائد وطقس بلادنا

٥١ هجوم المراطقة على امكة ويراكروس

وانا فبقيت مرتاحاً في هذه البلدة نحو ستة اشهر حتى وصل مركب من اسبانية واحضر جملة مكاتيب من التجار الى شركائهم وفي هذا المركب جاء رجل محتال وجعل نفسهُ انهُ قادم من طرف الملك ليفتش على المذنبين وياخذ محاسبة من خزندارية الملك فهذا الشقي رمى خوفًا في قلوب كثيرين من المذنبين . امّا الوزير فانهُ لما سمع كتب الى حاكم الامكة ان ينظر في الاوامر التي معهُ فما اراد ان يظهر اوامرهُ فعلم الوزير انهُ كاذب محتال فارسل خلفهُ جنودًا ليحوشوه فوجدوهُ وامر الوزير بحبسهِ . وبتلك الايام جاء بعض مراكب قرصان الى مينا ويراكروس (Vera Cruz) وكانوا كلهم مراطقة مجتمعين من كل اجناس الطوائف فوصلوا في الليل وخرجوا للبر بعيدًا عن الميناء بفرسخ ودخلوا البلد مثل اللصوص لان ليس للامكة سور وعبروا الى بيت حاكم البلد وحبسوهُ . وبعد ذلك دخلوا واخرجوا الناس رجالًا ونساء وحبسوهم في الكنيسة الكبيرة وسكروا عليهم واقاموا حراساً على الابواب وابتدأوا ينهبون ويسلبون الديورة والكنائس والبيوت مقدار ثلاثة ايام . ثم اخرجوا الناس من الكنيسة وحملوهم مال النهبة وساقوهم الى حيث كانت المراكب راسية بعيدًا نحو نصف فرسخ وحملوا المال وجميع الرجال والعبيد في هذه المراكب واخذوهم الى جزيرة قريبة من ذلك الميناء

نحو فرسخ واتزلوهم هناك وقالوا لهم لهاً ان تمتقوا ارواحكم او نقتلكم جميعاً . وقطعوا عليهم مائة وخمسين الف غرش فارسل هولاء الساكين من جانبهم الى مدينة البويلا المذكورة (Puebla) ليحضروا عتاقهم . فمن بعد عشرة ايام قدموا لهم المائة والخمسين الف غرش فأعتقوا الناس السبنيولية واخذوا العبيد السود وجميع المال الذي نهبوهُ من هذه البلدة مقدار ثمانية مليونات وكان عدد هولاء القرصان الجلالية ستمائة نفر والسبنيولية مع عبيدهم كانوا ازيد من اربعة الاف نفر . وكان الرئيس على القرصان رجل هرطوقي له رفيق وشريك اسبنيولي يسمى نسيليو فتخاصما على قسمة المال ما بين الاثنين فقتل نسيليو الرئيس الهرطوقي وانتصب عوضهُ رئيساً على القرصان . وانا كان لي في هذه البلدة حمل قرمز اشتريتهُ من واخاكا بالف غرش فنهبوهُ من جملة الاموال . وبينما هولاء القرصان في تلك الجزيرة اتت المراكب من اسبانية وفي دخولها الى الميناء ارسل الوزير فاعلم الجنيرال حقيقة الحال ليحارب قبل دخوله الميناء اولئك القرصان ويحرقهم . فنصب الجنيرال بيرقاً ليجمع عندهُ روساء كل المراكب ويعملوا ديواناً ويحطوا خطوط اياديهم حتى لا يكون الجنيرال مذنباً وحدهُ لان مراكبهُ كانت موسوقة بضائع فخاف ان يغرق لهُ مركب او يحترق في المحاربة . فلما ابتعد من الميناء واجتمعوا وعملوا ديوانهم نظر اليهم نسيليو فنصب قلاعهُ وسافر وهو يضحك على المراكب السبنيولية وخرج امامهم من غير خوف بعد ما اخذ معهُ ازيد من الفي اسير مع عبيد سود ومنهم حمر وكان ذلك في تاريخ سنة ١٦٨٣ مسيحيَّة

٥٢ من المكسيك الى بغداد عن طريق الصين

فمن قبل هذا التاريخ بمقدار مائة سنة على زمان فيلبه الرابع ملك اسبانية سافرت مراكب من بنكي دنيا الى نواحي الصين فرأوا جزيرة واكتسبوها وجعلوا اسمها فيليبيناس (Philippines) على اسم الملك المذكور وسكن هناك اسبنيولية وراحت في غير سنين الى هذه الجزيرة مراكب مع عدَّة قسوس ورهبان وتلمذوا اناسها وردُّوهم من الوثنيَّة الى ايمان المسيح (١)

١) لم يصب مؤرخنا المربي في تعيينه لزمن اكتشاف هذه الجزائر فان مكتشفها هو روي لوبي دي فيلالوبس سافر سنة ١٥٤٣ من المكسيك وبلغ هذه الجزائر بعد شهرين ولم يتملَّك عليها الاسبانيول الَّا في سنة ١٥٦٠–١٥٧٠ وقد عُرفت منذ ذاك باسم فيليب الثاني ملك اسبانية

ومن هذه الجزيرة يجي في كل سنة مركب الى ينكي دنيا ملآن من بضائع بلاد الصين فيصل من هذه الجزيرة الى ينكي دنيا بثمانية لشهر نكتهُ في العودة يرجع بثلاثة اشهر (١ وايضاً كل سنـــة يروح الى تلك الجزيرة مركب من بلد سورط (٢ الى تجار ارمن يسمون جلفاليه (٣ ساكنين في هذه الجزيرة — وهم اثنان — يأخذون مال هذا المركب ويدينونهُ للسبنيولية لوعدة سنة . ففي كمال السنـــة يجي مركب من سورط فياخذون من السبنيولية دراهم العام الاوّل ويعطونهم ايضاً لمثـــل هذه الوعدة الرزق الجديد . ولا يُعطى دستور لغير طوائف فلا يجي مركب الى هذه الجزيرة سوى المركب

---

١) لمّا توطدت سلطة اسبانية على بلاد الهند الغربي (البيروه والمكسيك) والشرقي (الهنـــد وجزائر الفيليبين الخ) اراد التجار في كل من مدن مانيـــلا (Manille) وليما (Lima) ان يربطوا الهندين معاً بطريق البحر تسهيلاً للمواصلات التجارية وتقريباً للمسافات الشاسعـــة . فنجح سعيهم وجعلت المراكب تسير بين العالمين حاملة من امركة الى الصين والهند الشرقي مـــا امتازت بهِ من المحصولات والفضة والذهب نقوداً وسبائك فتعود محملة ببضائع الصين من مصاغات وحرائر وقمشة وبازيز وتوابل وعطريات وقد اشتهرت الجوارب الحريرية التي كانوا يأتون منها كل سنة بخمسين الف جوز . اما مدّة السفر فكانت تختلف مع الطريق فيقلع المركب من ميناء الكالاو (Callao) في اواسط اذار متبعاً الارياح الموسميّة المماة (Alizés) التي تهب من الشرق للغرب فيبلغ مانيلا في اقـــل من شهرين لكن العودة صعبة كانت تستغرق من عشرة اشهر الى اثني عشر شهرًا فارشدهم احد الاباء اليسوعيين الى الانتفاع من الارياح المضادة فجعلوا يخرجون في تموز من مانيلا فيسيرون نحو الشمال الى ان يلتقوا بالارياح الغربية التي تهب في تلك الاصقاع فتدفعهم الى شطوط كاليفورنية والمكسيك بين شهر ك و ك ٢ فيحطون في ميناء اكابولكو (Acapulco) في المكسيك

٢) نظنهُ يريد مدينة (Surate) في شمالي مقاطعة بمباي في خليج كامباي الذي دعاهُ ابن بطوطة كنبايت وقد وصف مدينة جـــذا الاسم وذكر سعة تجارتها . اما سورات او سورات فهي مدينة حديثة لم يكد ياتي ذكرها في كتب العرب لان اشتهارها لم يسبق اوائل القرن السابع عشر حيث اصبحت ملتقى تجارة المغول والفرس فاقامت فيها الشركات الانكليزية والافرنسيـــة والهولنديـــة فروعاً مهمة وكان فيها رسالات دينيّة لليسوعيين وغيرهم

٣) يريد على زعمنا النسبة الى جلفا (Julfa) وهو حي اوعملة في جوار اسبهان بناه شاه عباس في اوائل القرن السابع عشر واجلى اليها سكان مدينة جلفا القديمة وسماها باسمها جلفا وما لبثت ان اصبحت مدينة مهمة اشتدت الكثلكة بين سكانها الارمن الكثيرين وتسددت الرسالات للرهبان اللاتين فانت باكثار خلاصيّة ذكرنا شيئاً منهـــا في الجزء الاول الصفحة ٨٣–٩٣ من مجموعتنا المنونة Documents inédits pour servir à l'Histoire du Christianisme en Orient. Prix 6 f. (Picard à Paris, Luzac à Londres, Harrassowitz à Leipzig) 1905

الذي للجلفاليه فقط . وكان لي نيّة ان اسافر مع المركب الى تلك الجزيرة ومن هناك اركب في مركب هؤلاء الجلفالية الى سورط ومن سورط الى بلادي (١ لكن صدني عارض مع الرجل الذي كان ذاهباً ليحكم في تلك الجزيرة (٢ فطلب مني ان ادينهُ عشرة الاف غرش فشاورت الوزير فقال لي : در بالك لانهُ مديون وعليهِ مائتان الف غرش ديناً . فامتنعت عن الرواح وقصدت ان ارجع الى بلاد اسبانية

٥٣ اخبار الصين والفيليبين

وذكروا لنا ان من مدّة خمسين سنة لما كان بعض انكاروزين يذهبون من هذه الجزيرة الى بلاد الصين الجواني ليتلمذوا الناسها ويرجعوهم من الوثنيّة الى ايمان المسيح فالشيطان عدو الخير والاحسان القى في قلب ملك الصين ان يقتل جميع الرهبان الذين يكرزون هناك فقتلهم وامر بتحضير مراكب وعساكر ليسافر الى جزيرة فيليبيناس (Philippines) فلمّا نظر سكان الجزيرة هذا العسكر العظيم القاصد محاربتهم اعتراهم الخوف لكونهم قليلين وغير مستعدين فما لهم حيلة ولا ملجأ غير الدخول الى الكنيسة فجروا للكنيسة وابتدأوا في التضرع والصلاة وحملوا الجسد المقدّس وخرجوا بالرماح والصلاة الى محاربة الاعداء فبقوّة الله وعدالتهِ التي لا تتخلى عن القاصدين اليهِ بامانة هاج البحر على تلك المراكب وشتت شملها وحطمها وابادها ومن جميع ذلك الجيش العظيم ما خلص سوى ثلاثة عشر مركباً . فلمّا سمع ملك الصين بهذا الضرر العظيم الذي اصابهُ حزن حزناً عظيماً ومن حزنهِ هلك عاجلاً واوصى ابنهُ الكبير المتولي الحكم بعدهُ ان يهيئ عسكراً آخر بمراكب حصينة ويقصد محاربة تلك الجزيرة . فلمّا اهتم ابنهُ المذكور وجمع العساكر وجهز المراكب عرض لهم مثلما عرض للاولين وبادوا اجمعين وعرض لهذا الملك ايضاً ما عرض لوالدهِ ومات فقعان لحزنهِ . فخلفهُ اخوهُ الصغير ولما جلس في الحكم نوى ان يهيئ عساكر ومراكب فاشارت عليهِ والدتهُ ان لا يضاد تلك الجزيرة لئلا يجري لهُ ما جرى لابيهِ واخيهِ بل الافضل ان يصالحهم

١) كانت المواصلات التجارية بين سورات وبغداد من طريق العجم متابعة كما جاء مراراً في الرسائل والرحلات المطبوعة والغير مطبوعة المحفوظة عندنا وبا ليت رحالتنا عاد الى بلادهِ من طريق الفيليبين والهند والعجم لكانت سفرتهُ غريبة لم يسبقهُ احد اليها

٢) الفيليبين جزائر لا جزيرة واحدة

ويصاحبهم ويتركهم يدخلون البلاد ويكرزون ولا يعارضهم بوجه من الوجوه. والآن في كل ثلاث سنين يجيء رهبان من اسبانية ويعبرون للصين ويكرزون ويتلمذون بغير مانع . وانا كان لي صديق كان قبطان في تلك الجزيرة مقدار سبع عشرة سنة فلما جاء الى ميخيكو استضاف عندي وحكى لي جميع هذه الامور والمعاجز التي صارت في فيليبناس . وهذا الرجل صادقٌ بقوله وايضاً شهادة الرهبان اليسوعية وغيرهم من الرهبان الذين ثبتوا تثبيتاً صادقاً واضحاً تلك المصيبة (١

٥٤ جزائر ماريان

ومن مدّة خمسين سنة اكتشف ايضاً السبنيولية على جزيرة قريبة من فيليبناس وفتحوها وكان سكانها هنود عابدي الاصنام فلما ملكوها نصّروا وعمدوا اهاليها وسموها على اسم الملكة امرأة الملك فيليبه الرابع (Philippe IV) ولم هذا الملك كارلوس الثاني وكان اسمها الملكة ماريانا ده اووستريا (Marie-Anne d'Autriche) التي هي اخت الامپارادور ليوبولد فجعلوا اسم تلك الجزيرة ايزلا ده ماريانس (Mariannes) . ولما كنت انا الحقير في ميخيكو جاء مركب من فيليبناس وجاء معهُ راهبان من رهبان مار عبد الاحد ومعهما عرض حالات الى سيدنا البابا . وهولاء الرهبان جاءوا معي الى اسبانيه في مركب واحد حينئذٍ اروني العرض حالات حتى اعينهم واساعدهم عند سيدنا البابا على المصيبة الذي قد صنعها قضاة فيليبناس مع مطران هذه البلدة وهي ان المطران المذكور تخاصم مع الرهبان اليسوعيَّة وطلب منهم العشور فما اطاعوهُ ولا ارادوا يؤدوا ذلك (٢ فبسبب هذا احشوا عليه (قام) قضاة البلد

---

١) لا ندري كيف خص مؤلفنا هذه الاخبار ونظنهُ خلط بين اخبار الاضطهادات التي حدثت في اليابان والصين والتونكان

٢) يجهل الرحالة ان اليسوعيين وكثيراً غيرهم من الرهبان معفون من اداء العشور لرؤساء الابرشيات على اننا قلّبنا كتب التاريخ فلم نجد ما ينطبق على قول صاحب الرحلة ولربما خلط بين حادثين جرى الاول بين اليسوعيين في المكسيك وبين يوحنا بالافوكس مطران بوبلا ده لوس انجلوس وذلك قبل رحلتنا باربعين سنة فطلب العشور من اليسوعيين فلم يرضوا وحكم لهم الكرسي الرسولي . اما بالافوكس فابتعد عن مدينته وزحم ان ذلك باغراء المرسلين . واخبار هذا الامر طويلة (اطلب تاريخ الرهبانية اليسوعية للمسيو كريتينوجولي المجلد ٤ الصفحة ٦٨ الخ) واكاني ارتان غريرو مطران مانيلا في الفيليبين من معاصري صاحب المقالة وقد ذكر في تاريخه

فارسلوا تحت الليل مسكوه وحطوه في المركب ونقوه الى مكان بعيد ثلاثين فرسخاً . وهذا المطران كان راهباً من رهبان مار عبد الاحد ومات ذلك المطران في النفي كمثل مار يوحنا فم الذهب . فلما وصل هذان الراهبان الى رومية وعرضوا تلك العرض حالات المشتملة على هذه القضية الى سيدنا البابا وسمع البابا تلك القباحة الردية ارسل يعاتب ملك اسبانية على هذا الفعل الذي صنعهُ القضاة في ذلك المطران . فلما علم الملك والديوان هذا الامر ارسل الى فيليبناس وعزل اولئك القضاة من وظائفهم ونفاهم وماتوا منفيين تحت الحرم

٥٥ الرجوع الى اوروبة

فنتكلم الان عن رجوعنا . ولما ارادت المراكب ترجع الى اسبانية فانحدرت من بلد ميخيكو (Mejico) الى اسكلة ويراكروس (Vera Cruz) وهي ثمانين فرسخ . فتكلمت مع جنيرال المراكب ان ياخذني الى اسبانية فطلب مني كروه الف غرش مع الاكل والشرب لان قوانين هذه المراكب انهم يكرون الاوضه ذراعين وعرضها ذراع وثلث وعلوها ذراع ونصف . فلما رايتهُ طلب الف غرش صعب عليَّ لكن غصباً عني رضيت . فمن بعد ثمانية ايام اجتمع روساء المراكب وعملوا ديواناً ومشورة ان كانوا يقدرون ان يخرجوا من الهند ويأتوا الى اسبانية في هذه الاشهر ورموا القرعة لانهم لا يقدرون ان يسافروا الا بعد ثلاثة اشهر فجهزوا مركباً صغير مع مكاتيب واخبار تلك البلاد وارسلوهُ قبلهم سبيقاً الى اسبانية فلما نظرت ذلك حرت في امري بسبب ان تلك الاسكلة حارَّة وماءها عاطل وهواها انعس . حينئذٍ استهيَّت وركبتُ في ذلك المركب الصغير الذي ارسلوهُ الى اسبانية قاصداً السفر معهُ الى جزيرة تسمَّى لاوانا (La Havana) لانها اسكلة الى غلايين البيروه والى مراكب ينكي دنيا التي يقال لها القلوتا (flotte) فحصل صديق لي في اسكلة ويراكروس واشار عليَّ ان اشتري حملين بصل يابس وصندوقين تفَّاح لاجل ارمغانات (١ فاشتريت وعملت بشوره

انهُ دعا كتبة مائلا الى اجتماع فاعتذر البسوعيون فغضب المطران ولكنه لم تطل مدة غضبه فقبل عذرهم واعلن اسفه لما حدث وعاد الى ما كان عليهِ من مصادقتهم (اطلب Historia delle Philipine p. 220 وكريتنوجولي المجلد ٥ الصفحة ٢٢ الخ)

١) ارمغانات اي هدايا وهي كلمة فارسيَّة الاصل جرى استعمالها في حلب وما بين النهرين

وسافرنا مع قدرة الله وبعد عشرين يوماً وصلنا الى هذه الجزيرة المذكورة لاوانا ونحن فرحون مسرورون وحاكم هذه الجزيرة كان اخا الجنيرال الذي اوصاني للبيروه فقدمت له البصل والتفاح ارمقان فتعجب وقال : كيف علمت انا نمتاز البصل والتفاح في هذه الجزيرة . فانهم اذا زرعوا البصل عندهم في الجزيرة يطلع مثل اذناب الفار واذا تركوه حتى يكبر يتخ ويبيس . فبقيت في هذه الجزيرة اربعة اشهر ونصف حتى جاءت المراكب من ينكي دنيا وهذه الجزيرة هواها مليح وماؤها طيب واناسها محبون فلما اردت اخرج من هذه الجزيرة حتى اتوجه الى اسبانية جاءني بشاكيش (١ عوض البصل والتفاح تسعة صناديق سكر مع مرطبانات (٢ المربى وانا كنت استكريت في المركب الذي كان جاء من كراكس (Caracas) بثلاثمائة وخمسين غرشاً وسافرنا . فبمعونة الله وصلنا الى جزيرة القاع (Lucayes) فقام علينا اضطراب في البحر من عظم زيادة الريح ودام احد عشر يوماً وتشتت المراكب على وجه البحر ونحن بقينا في بكاء وعويل مع صلوات وزياحات في المراكب وندورة الى الكنائس والقديسين ومن بعد الاحد عشر يوماً المذكورة سهّل الله وهمد عجاج البحر واجتمعت مراكبنا التي كانت مشتتة لان في الليل يشعلون الفنارات حتى لا يتيهوا ويضيعوا بعضهم عن بعض وايضاً حتى لا يقربوا كثيراً الى بعضهم لئلا يخبط مركب في مركب وينكسروا . حينئذٍ جاءتنا ريح مناسبة فرجعنا الى دربنا متوجهين الى كادس (Cadix) . فمن بعد اثني عشر يوماً كشفنا على الارض من فجر النهار وكانت الريح مساعدة جداً حتى في نصف النهار

٥٦ من اسبانية الى رومية

دخلنا بالسلامة الى ميناء كادس وكانت مراكب الحرب التي لملك فرنسة راسية خارج الاسكلة وايضاً مراكب الحرب التي لملك اسبانية راسية قبالهم . فلما دخلنا بين هذه المراكب سلمنا عليهم بضرب المدافع فردّت مراكب فرنسة واسبانية علينا السلام

---

١) بشاكيش جمع باشكيش او باشكاش ذكرها المؤلف غير مرة في مقالته واراد بها البخشيش الشهير في بلادنا . وبخشيش كلمة فارسية من فعل بخشيون بمعنى اعطى وغفر

٢) مرطبان كلمة فارسية يراد بها الاناء الذي تحفظ فيه الحلاويات والمقاثير وغيرها

وبقي ضرب المدافع من الجانبين وصار الدخان عليهم مثل الضباب فدخلنا الميناء ورسينا ثاني يوم اتانا اصحاب من البلد في سنابك وطالعونا الى البر فاخرجت صناديقي بامر رئيس الديوان الذي يسمى برسيدنته من غير ان يفتحوها ويفتشوها كالعادة . فمن بعد عشرة ايام رحت الى بلد سيويلية (Séville) لاخلّص الغي غرش من قبطان مركب كان تدّينها مني ليشتري عازة مركبه . فلما وصل الى كادس يسّقوا على المركب واخذوه لان كان عليه دين لكنيسة سيويلية ثلاثين الف غرش فرحت انا ادّعيتُ فحكم البرسيدنته بالحق وقال : قبل كل شيء يستوفي هذين الالفين غرش لانهُ لولا هذا المبلغ ما جاءكم المركب . فاعطوني اياها ورحت الى كادس واستكريت مع مركب هولانديزي حتى اتوجه الى رومية وكان معي خادمان من اولاد الارمن وكنت احضرت معي من الهند اربع درّات وهي الطيور التي تسمّى في لسان الفرنجي پاپاكاي (ببغاء) (Perroquet) يتكلمون مثل الانسان وجبت ايضاً قنديل فضة يساوي الف وار بمانة وخمسين غرشاً وصنعتهُ غريبة فقدمتهُ الى سيدنا البابا والى كنيسة الجمع فلمّا رآهُ الكردينالية فرحوا فرحاً عظيماً بلطافة صياغتهِ . وفي ذلك الحين انعم عليّ سيدنا البابا اينوسنسيوس الحادي عشر صاحب الذكر الصالح برظانف لم أكن لائقاً لها . والحمد لله الى الابد امين (١

الطلاق عند المسيحيين

نظر لاهوتي للاب انطون صالحاني اليسوعي (تتمة)

تحديدات وقوانين المجامع

بعد ان تحققنا تعليم آباء الكنيسة وعلمائها عن منع الطلاق لا عجب ان نرى المجامع المسكونيّة والمكانية تحدّد وتقرّر الحقيقة ذاتها وتلزم المسيحيين باتباعها

---

١) هنا تنتهي رحلة الخوري الياس بن القيس حنا الموصلي من عيلة بيت عموده (او ربما عمون) وهي الصفحة المائة من كتابه ويليها ١١٣ صفحة وصف فيها المؤلف تاريخ امركة القديم وفتحها نقلهُ عن الكتب الاسبانية وغيرها من الكتب فجمع فيها بين الفوائد التاريخيّة والاخبار المنقولة وختمها بعروض قدمهُ الاب فرنسيسكو رومبرو الاغسطيني سنة ١٦٩٣ ومن هذا التاريخ يتضح انهُ الّف هذا القسم بعد عودته بسنين وربما عدنا الى هذه الفصول فاستخلصنا منها شذوات تلذ القراء